

تفسير البحر المحيط

. @ 185

{ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ } قال الزمخشري : يبسطون إليهم أيديهم يقولون : هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح الشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط ببسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهلهم ويقول له أخرج إليّ ما لي عليك الساعة وإلا أديم مكاني حتى أنزعه من أصدقائك ومن قال : إن بسط الأيدي هو في النار فالمعنى أخرجوا أنفسكم من هذه المصائب والمحن وخلصوها إن كان ما زعمتموه حقاً في الدنيا وفي ذلك توقيف وتوبيخ على سالف فعلهم القبيح ، وقيل هو أمر على سبيل الإهانة والإرعاب وإنهم بمنزلة من تولي إزهاق نفسه . .

{ الْيَوْمَ تَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } أي الهوان ، وقرأ عبد الله وعكرمة { عَذَابِ } بالالف وفتح الهاء واليوم من قال : إن هذا في الدنيا كان عبارة عن وقت الإمامة والعذاب ما عذبوا به من شدة النزاع أو الوقت الممتد المتناول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ ، ومن قال : إن هذا في القيامة كان عبارة عن يوم القيامة أو عن وقت خطابهم في النار ، وأضاف العذاب إلى الهون لتمكنه فيه لأن التنكيل قد يكون على سبيل الزجر والتأديب ، ولا هوان فيه وقد يكون على سبيل الهوان . .

{ الْهُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْخُورُونَ } عَلَيَّ اللَّيْلُ غَيْرَ الْحَقِّ { القول على الله غير الحق يشمل كل نوع من الكفر ويدخل فيه دخولاً أولوياً من تقدم ذكره من المفترين على الله الكذب . .

{ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } أي عن الإيمان بآياته وجواب لو محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً ولرأيت عجباً وحذفه أبلغ من ذكره وترى بمعنى رأيت لعمله في الطرف الماضي وهو { إِذْ * وَالْمَلَأْنِيكَ بِاسْطِوَا } جملة حالية و { أَخْرِجُوا } معمول لحال محذوفة أي قائلين أخرجوا وما في بما مصدرية . .

{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَنَا فُِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } قال عكرمة قال : النضر بن الحارث سوف تشفع في اللات والعزى فنزلت : ولما قال { الْيَوْمَ تَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } وقفهم على أنهم يقدمون يوم القيامة منفردين لا ناظر لهم محتاجين إليه بعد أن كانوا ذوي خول وشفعاء في الدنيا ويظهر أن هذا الكلام هو من خطاب الملائكة الموكلين بعقابهم ، وقيل : هو كلام الله لهم وهذا مبني على أن الله تعالى يكلم

الكفار ، وهو ظاهر من قوله : { فَلَا تَسْأَلْنِ السَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ } ومن قوله : { فَوَرَبِّكَ لَا تَسْأَلَنَّهُمْ } و { جِئْتُمْ مَوْنًا } من الماضي الذي أريد به المستقبل ، وقيل : هو ماض على حقيقته محكي فيقال لهم : حالة الوقوف بين يدي □ للجزاء والحساب ، قال ابن عباس : { فُرَادَى } من الأهل والمال والولد ، وقال الحسن : كل واحد على حدته بلا أعوان ولا شفعاء ، وقال مقاتل : ليس معكم شيء من الدنيا تفتخرون به ، وقال الزجاج : كل واحد مفرد عن شريكه وشفيعه ، وقال ابن كيسان : { فُرَادَى } من المعبود ، وقيل : أعدناكم بلا معين ولا ناصر وهذه الأقوال متقاربة لما كانوا في الدنيا جهدوا في تحصيل الجاه والمال والشفعاء جاؤوا في الآخرة منفردين عن كل ما حصلوه في الدنيا ، وقرء فراد غير مصروف ، وقرأ عيسى بن عمر وأبو حيوه فراداً بالتنوين وأبو عمرو ونافع في حكاية خارجة عنهما فردى مثل سكارى كقوله : { وَتَرَى الذَّاسَ سُكَارَى } وأنت على معنى الجماعة والكاف في كما في موضع نصب ، قيل : بدل من فرادى ، وقيل : نعت لمصدر محذوف أي مجيئاً { كَمَا خَلَقْنَاكُمْ } يريد كمجيئكم يوم خلقناكم وهو شبيه بالانفراد الأول وقت الخلقة فهو تقييد لحالة الانفراد تشبيه بحالة الخلق لأن الإنسان يخلق أقشر لا مال له ولا ولد ولا حشم ، وقيل : عراة غرلاً ومن قال : على الهيئة التي ولدت عليها في الانفراد يشمل هذين القولين وانتصب أول مرة على الطرف أي أول زمان ولا